

غير الأرياف؛ فوسائل الراحة مفقودة ، ذلك إلى جانب ما يجده من مقاومة الشيوخ والرؤساء الأقطاعيين ، كتهديد حياته ، ونهب أمواله ، وسرقة أمتعه



والذي يحول بين الفلاح وبين تلميم أبنائه ، اضطرابه إلى النقل من مكان إلى آخر ، جرباً وراء الرغيف ، غير مستقر في مكان ، لأنه لا يملك أرضاً يستقر عليها

هنالك في أرياف العراق (٤٤٩) مدرسة للبنين ، عدد طلابها (٨٢١٢٨) ، وعدد معلميها (١٤٨٩) ، وفي ذلك الريف أيضا مدارس للبنات عددها (٢٤) مدرسة ، وعدد طالباتها (١٤٠٨) ومعلماتها (٧٩) معلمة

وفي المدن العراقية مدارس للبنين والبنات يبلغ عدد طالباتها وطلابها (٧٨١١٨) ، وعدد المعلمات والمعلمين (٣٠٣٥) ونحن إذا ألقينا نظرة دقيقة على هذه الأرقام ، وجدنا أن مدارس القرى تزيد في عددها على مدارس المدن بمقدار (٨٢) مدرسة ، ووجدنا طلاب المدن وطلابها يزيدون على القرى بمقدار (٣٤٤٨٣) ، وأن زيادة عدد المعلمات والمعلمين تبلغ (١٥١٧) أيضا

ونخلص من هذه المقارنة بنتيجة تهز مشاعرنا هزا عنيفاً شديداً ، ذلك أننا نجد سبعين في المائة من سكان يملأون ريف العراق لا يقيم لهم وزن ، ولا يحسب لهم حساب في توزيع عدالة التعليم بين أبناء الشعب ؛ وإعنا على النقيض من ذلك يعطى الاهتمام لمن يعيشون في المدن وعدم اثنان وعشرون في المائة من السكان ، وذلك يستدعي من المسؤولين تبديل نظرهم إلى التعليم الريفي ، وإعطاء ما يستحق من الاهتمام ، لأن الفلاحين يؤلفون هيكل الأمة العظيم ، ولا حياة لجسد هيكاه العظيم غير سليم

والساكن في الريف تتألف من بيوت حقيرة صغيرة مبنية من القصب ، أو اللبن أو الطين ، بغير ترتيب ، فهي ضيقة لا يدخلها النور والهواء ، يعيش فيها الإنسان جنباً إلى جنب مع الحيوان ، طرقتها موجبة تكسر فيها الحفر وأكولم الأوساخ ، والبرك التي تنتشر منها الروائح الكريهة ، وعلى الرغم من سعة الأراضي في العراق ، فإنها متلاصقة ، دون نظام ، وخالية من

نظرات في اصلاح الريف

تأليف الأستاذ عبد الرزق المهدي

للأستاذ علي محمد سرطاوي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

(١٤٣ صفحة ، مطابع دار الكتاب بيروت — الطبعة الثانية)

والياه النقية ، لا تزال بييدة عن (٨٨) قسبة وقرية ، يتراوح عدد السكان في كل منها من ألف إلى ألفين وأما التعليم في الريف فلا يزال في مراحله الأولى ، إذ تبلغ نسبة الأميين في العراق اثنين وتسعين في المائة ، وأكثرهم يعيشون في الريف

والجهود التي بذلت لنشر التعليم هناك تتضاءل إذا ما قورنت بما يبذل في سبيل التعليم في المدن ، ومراكز الأفضية ، ومرد ذلك إلى عدم وجود سياسة تعليمية خاصة بنشر التعليم بين أبناء الريف ، وموقف بعض الشيوخ ، ورؤساء المشائر ، ومقاومتهم رسالة المدرسة والمعلم ، لرغبها الشديدة في بقاء القديم على قدمه ، وترك الناس في الريف كالأنعام ، في ضلالهم بعمهون

يقول بول مغرو في تقريره من إصلاح المعارف في العراق ، (والمشكلة التي تستوجب اهتمامنا هي مشكلة القرية الزراعية . إن منهج المدارس المعمول به في الوقت الحاضر ، منهج مدني ، يتضمن ، على الأكثر ، درس اللغات بصورة مشددة ، وهو مالا يحتاج إليه الحياة الريفية ، وليس منهج المدرسة محشوا بإفراط لحسب ، بل إنه لم يؤسس على أسس رشيدة ، إذ لا يتلاءم والاحتياجات الريفية ...)

وبما أن معلم القرية في مشا كل الميش ، مالا يجده أمثاله في

المرافق العامة

وحالة العمال الذين يعيشون في المدن وضواحيها لا يقل في سوتها من الريف . فإن الزائر الذي يزور بغداد ، ويعرج على محلة (الشيخ عمر) ، و (باب الشيخ) و (الماسمة) ، و وراء سدة (ناظم باشا) ، وغيرها من الجهات ، يؤسفه أشد الأسف أن يرى هذه الألوف المديدة من أجراء البلاد ، في هذا الوضع السيء على الرغم من أنهم يعيشون ضمن حدود أمانة الماسمة وما يصدق على بغداد يصدق على جميع مدن العراق

وحاول المسؤولون تشييد قرى حديثة تتوفر فيها الوسائل الصحية في بيوتها ، فصدر عام ١٩٢٦ القانون رقم (٧٠) ولكنه بقي حبرا على ورق ، ولو نفذ في حينه ، لكان لسكان الأرياف في العراق الآن ، قري صحية نموذجية ، تليق بكرامة الإنسان ، وتلا ذلك محاولتان فاشلتان في السنتين ١٩٤١ و ١٩٤٩

وهجرة الفلاحين من الأرياف إلى المدن ، ظاهرة اجتماعية شديدة الخطر على قطر زراعي كالعراق ، وسببها انحطاط مستوى المعيشة ، وسوء العلاقة بين الفلاحين والسيوخ ، وما يتقل كاهلهم من تبعات وإعمال ، ثم ما يشمر به شبابهم من فتن ، بعد هودتهم من خدمة العلم ، حيث لا يجدون وجها للمقارنة بين حياتهم في القرى وبين حياة الناس في المدن

ولقد ملأ هؤلاء المهاجرون مدينة بغداد ، والبصرة ، والناصرية ، والهاجرة ، وارتضوا لأنفسهم الحياة في الأكوخ الحقيرة ، التي زاها منتشرة في جهات ممتدة من بغداد ، وفي الفجوات بين قصورها ، فتمقت بهجرتهم مشكلة الفقر في المدن ، وازدادت المتاعب الصحية والإداوية ، والأمن ، لأن الفقر كثيراً ما يدفعهم إلى السرقة ، وارتكاب الجرائم ؛ ذلك إلى جانب الارتباك الاجتماعي الذي يحدته وجود جماعات لا يشعرون برابطة نحو أحد ، وآثر ذلك المباشر على كثير من التراخي في الضبط الاجتماعي ، وظهور المشاكل الإدارية ، والأخلاقية والنفسية ؛ ويزيد في المشكلة ، النفيضان السدوي

الذي يدمر في المسادة ، أكوخ هؤلاء النعماء ، وبصيرم بلا مأوى ، هائمين على وجوههم ، فيولدون ارتبا كالمطبات الأمن . وقد فشلت الحلول التي تقضى بإعادتهم إلى الأرياف التي هاجروا منها

• • •

هذه لمحات عابرة ، صور فلم المؤلف حقائقها تصورا رائعا استمدته من قلب يفيض بحب الخير المطلق ، وهو في هذا التصوير الدقيق ، لا يهدف إلى التجريح والإيلام ولكن إلى تشخيص الداء العضال ، ليتيح الفرص للمخاضين ، فيتقدمون بالملاج الناجع . وهو في هذا العمل ، أشبه ما يكون بالطبيب الحاذق الرحيم ، يعد أدواته الجراحية إلى جسم المريض وهي تحمل في أطرافها الحادة ، المعاني التي تخفف الألم ، وتزيل الأوجاع

والجراحة على تصور الحقائق الريرة ، التي ينفر الناس من النظر إليها ، ولا يقرون على مواجهتها ، التي هي بطولية لا يتقدم إلى ميدانها الأصيل ؛ إلا كل مناصر جريء ، لا يخشى الباطل ويقاوم النكر بأفوى الإيمان

والرياء الاجتماعي ، والنفاق الرخيص الخسيس ، والشعور بالحقارة ، إنما هي المار الذي قد التصق بجيمل الصبيد الحاضر ، فراح للناس في غمرتها يسمون الأسماء بنير مسمياتها ، ويسبرون في ركاب الباطل ، ولكن بعض النفوس الأبية في بعض شباب هذا الجيل قد تمردت على هذا الهوان ، ولم تسر وراء القطيع في طريق الاستعباد

والمعجزة التي تنتظر حدوثها الأرواح الخاملة ، لترفع مجتمعا من الهوان الذي تردى فيه ، لن تحدث أبدا ؛ ذلك لأن زمن المعجزات قد صار في ركاب الأنبياء . وتواري في ظلام الزمن البعيد . والمعجزة إنما يجب أن ينبثق نورها من إيماننا العميق بالإصلاح الاجتماعي العاجل ، ذلك الإصلاح الذي يملأ المد الجائئة بالخبز ، والأدمنة الفارقة بالعلم الصحيح ، والنفوس المستغربة (١) الحقيرة الخاملة بالرجوة ، وبماني الكرامة القوية

(١) التي تحب الترب

يجب أن ترتبط أجزاء الوطن العربي الكبير ، بنظام اقتصادي ، عميق الجذور ، قوى الأركان ، يستمد كل جزء من أجزائه ، حاجته من أيد عاملة ، أو رؤوس أموال ، أو خبراء ، من الجزء الذي يتوفر فيه ذلك ، فتصان الثروة للشعوب العربية . ويتبى أن يسبق ذلك أو يقيمه ، تغيير جارف في مناهج التعليم ، لتصبح عملية ، تواجه مطالب الحياة الحديثة بأعداد جيل قوى من المهندسين ، والكيميائيين ، والإحصائيين ، وعلماء الطبيعة والرياضيين والمختربين . ولقد آن للشبان في هذا الجيل أن يشجعوا بوجودهم عن دراسة اللغات والآداب والتاريخ ، وأن ينصرفوا بشمور وطني عميق إلى التخصص في الرياضيات والطبيبات والكيمياء والتعمدين ، والمهندسة والزراعة ، بكل أنواعها ودقائقها وفروعها ، فإننا في حاجة ملحة إليها الآن

o o o

وبعد فإن الأستاذ عبد الرازق الهلالي ، مؤلف هذا الكتاب ، يستحق الشكر الجزيل ، والتقدير العميق ، على هذا الانجاء الرشيد في معالجة مشاكنا الاجتماعية ، ونحن نرجو أن يكون ظمحة خير للشباب ، يخرجهم من عزلتهم ، فيضاهرون شجاعة أدبية في التوفر على دراسة المشاكل التي يواجهها الجيل الحاضر ، تلك المشاكل التي تمذب في جوها أرواح هي أجزاء من أرواحنا ، ونفوسنا هي نفوسنا ، وما أبتغى ذنب الذي يقف على طرف الماء فيرى غريقا ولا يمد يد المساعدة إليه

وأسلوب المؤلف في الكتاب يثلب عليه تكرار الحقائق ، وكأنه يريد أن يببالغ في إظهارها ، ولكنه أسلوب متين ، سلس ، تطل من وراء كلماته حرارة الروح ، ووجيب القلب ، وأنسام المواطن الرفيعة الرحيمة

ورسائل الإحجاب التي ألحقها بالكتاب من بعض أسدقائه ، إنما هي أمور شخصية لا شأن للقراء بها ، وهي كالقذفي في العين الجلية التي تبعت الفتنة إلى القلوب

بنداد دار المطبوعات الإجدائية علي محمد سرطاوي

والعزة الإسلامية ، فتبادر إلى العمل المنتج ، وتشيع بوجوهها عن التبعج الخسيس بمظام الأبطال من البائدين ، ونحن في حقارة القرود بين الأمم المتمدنة

إن الوطنية المدركة ، تتطلب من أفراد الأمة أن يجدوا الحلول العملية السليمة لهذه المشاكل ، وكل نقاعس من ذلك ، يدفعنا موثقين بها ، في تيارات دولية عنيفة ، تتربص بنا ، وتضممر لنا الشر والحقد الدفين

يجب أن تنتقل ملكية الأرض إلى الفلاحين ، وأن تقام لهم الماكن التي تليق بكرامة الإنسان ، وأن تكون العناية بصحتهم ، وغذائهم ، وتعليمهم ، شغل القلوب المخصصة الشاغل التي تستطيع - حتى يتساوى الجميع في عدالة اجتماعية - أن تكفل الطمأنينة لسكل مواطن في حدود التبعات والواجبات والأمة حين تفكر جديا ، في حل هذه المشاكل ، لا تبصر غير مصلحة الوطن العاليا

واقدم اقتراح مؤلف الكتاب حلولا سليمة لكثير من المشاكل التي أثارها ، لو أخذ بها لجملت الريف جنة وارقة ، وجملته مصدر قوة رهيبية يحسب لها الأجنبي حسابا يحطم أعصابه ويبتعد عنها إلى حيث ذهبت أم تشم

ومشروع (الدجلة) العظيم الذي أتاح الاستقرار لآلاف من الفلاحين في العراق على أرض يملكونها ، وورهن الفلاحون باستتباب الأمن بينهم ، وخلودهم إلى الاستقرار في بيوت صحية على طمأنينة روعي عميقين ، إنما هو تباشير الفجر الذي سيمتد به إشراق شمس العدالة ، فلا يبقى سيد وعبد ، وظالم ومظلوم في مواطن العروبة

وقصة الحاج رويس - التي قصها على المؤلف معالي الشيخ علي الشرقى - ذلك المرابي الذي سلف أحد الزارعين مائتي روية على أساس أن يدفع له الفلاح وزنة من الشمير من كل روية . وبعمرور الزمن أصبح هذا المبلغ ستين ألف روية دفع الفلاح السكين نصفها في حياته وبق وورثته مدينين بنصفها الباقي ، إنما هي المثال الصارخ على ظلم الفلاحين واستعبادهم